

الدرس الثامن والعشرون

زكريا

الإصحاحات 5-8

و. رؤيا الدرج (المخطوطة) الطائر (5: 1-4)

كان تطهير يهوشع في الرؤيا الليلية الرابعة تمثيلاً رمزياً لتطهير الأمة كلها. ويَطوّر هذا الموضوع في الرؤيتين السادسة والسابعة. والرؤيا هنا (الرؤيا السادسة) هي عن مخطوطة طائرة تمثل لعنة تنطلق على وجه الأرض كلها.¹ وتدل الكتابة على كلا الوجهين على دينونة، وتنبأ بتطهير البلاد من فاعلي الشر. لقد بُسِط الدرج وصارت رؤيته متاحة للجميع، فكان يجب أن يدفع الإعلان الواضح لعقاب الخطية الناس إلى التوبة والبر. وتمثل خطيبتا السرقة والحلفان الباطل باسم الرب على الأرجح الشريعة كلها - ربما لأنهما كانتا أكثر الخطايا شيوعاً في ذلك الوقت. وهكذا فإن الله سيستمر في تحميل الشعب مسؤولية عدم الوفاء للعهد.

كانت الرسائل السابقة ذات طبيعة تصالحية واضحة. لكن قبل أن تتحقق رسائل المصالحة هذه، لا بد أن يُنزل الله دينوته البارّة على كل الخطاة وعلى كل تعدٍ لشريعته (انظر تثنية 27: 26) - انسجاماً مع اهتمام زكريا بالحث على التجديد الروحي. وبما أن الرؤيا الليلية الرابعة تجد تحقيقها في الجيء الثاني، فإن من المحتمل أن الرؤيتين 6 و7 السادسة والسابعة تتحققان في ذلك الوقت أيضاً. فقد كانت الأمة تحتاج إلى تطهير وتنقية قبل أن يسكن الرب في وسطها.

ز. رؤيا المرأة في الإيفة (5: 5-11)

هذه الرؤيا استمرار للدينونة السابقة المرتبطة بالمخطوطة الطائرة. فالمرأة الجالسة داخل الإيفة (المكيال) هي "الشر" أو الإثم كما تعلن الآية الثامنة. فلا يجب معاقبة الخطاة في البلاد فحسب، لكن الشر نفسه يجب أن يزال من البلاد أيضاً. وفضلاً عن ذلك، فقد طُرحت المرأة

¹ يستخدم نفس تعبير "العنة" في تثنية 29: 20-21 للحديث عن لعنات التآديب التي حذر الله الشعب منها بسبب عدم أمانتهم للعهد. وقد كُتب على وجهي المخطوطة، وهذا يذكرنا بلوحي الوصايا العشر التي كتبت على جانبي اللوحين (خروج 32: 15).

في أرض شنعار، حيث سبّني هيكل للشر (الذي تمثله المرأة). ويفهم فينبرغ هذه الفقرة على أنها "تحدث عن جمع كل خطايا إسرائيل التي كانت قبل أن يفصل الله الأشرار من وسط البقية البارة في الأيام الأخيرة."² وسيعود كل شر - وعبادة الأصنام على نحو خاص - موجوداً في إسرائيل في ذلك الوقت بقوة إلى المكان الذي جاء منه، أي بابل: ذلك النظام الديني العظيم المرتد.³ وهكذا ستطهر الأمة كما سبق أن توقع زكريا 3: 9.

كانت بابل في نظر اليهود المعاصرين لزكريا مكان كل شر. وهكذا عبّرت رسالة هذه الرؤيا عن حاجة إسرائيل إلى الانفصال التام عن كل الشر الذي لوثت به أثناء وجودها في السبي، وإلى العودة الكاملة إلى يهوه والسلوك في طريقه. وهكذا فإننا نرى صلة هذا الأمر بالدعوة إلى التوبة في الأصحاح الأول. فتطهير الأمة من الشر بعد الطريق لحكم المسيح البار (إشعيا 11: 4-5).

ح. رؤيا المركبات الأربع (6: 1-8)

تُكمل هذه الرؤيا الدورة التي بدأت في الرؤيا الأولى حيث جابت الخيول الأرض (انظر 1: 10، 11)، رغم وجود اختلافات طفيفة في التفاصيل بين الرؤيتين. إذ تجر المركبات الأربع خيولاً بألوان أخرى أرسلت للجولان في الأرض (وهي ترمز إلى الرسل الملائكية أيضاً - لاحظ الآية 6: 5). والغرض من هؤلاء الملائكة المذكور في 6: 8: "هوذا الخارجون إلى أرض الشمال قد سَكَنُوا رُوحِي (هدأوا غضبي) في أرض الشمال." "في الإعلان النبوي الأول أرسل راجبو الخيل للاستطلاع بين شعوب الأرض لكي يتحققوا من حالتها المرتبطة بردّ إسرائيل وبركها النهائية."⁴ ونتيجة لتقريرها تُرسل المركبات، والشعوب (وخاصة الشمالية منها) هي الآن موضوع غضب الله كإعداد لفترة إسرائيل النهائية من البركة. والآن تنطلق المركبات أيضاً بين جبلين نحاسيين. والنحاس في الكتاب المقدس رمز للدينونة الإلهية العادلة (انظر رؤيا 1: 15؛ 2: 18). "سيدن الرب شعبه على عدم أمانتهم وعصيانهم، وسيقوم في نفس الوقت بافتقاد شعوب العالم الفاجرة التي اصطفّت ضدّ إسرائيل."⁵ ويُلفت انتباهنا بشكل خاص إلى "الشمال"، لأنه يلمح إلى بابل (تذكر 2: 6-7 وقارنها مع 1: 15). وإن من شأن هذا أن يعزّي ويشجع بقية إسرائيل التي كانت قد عادت من بابل، بالأخبار المفرحة بأن الله يقضي على كل جهود أعداء إسرائيل إلى أن يأتي المسيح.

² Feinberg, 89.

³ كان الملقب يعتبر في العهد القديم طائراً غير طاهر (لاويين 11: 19؛ تثنية 14: 18)، ومن هنا فإنه ملائم لإزالة الشر. كانت بابل أيضاً المكان الوسخ الذي سبى إليه بنو إسرائيل (كانت قلعة من قلاع عبادة الأوثان).

⁴ Unger, 100.

⁵ Feinberg, 94.

ط. تويج يهوشع (6: 12-13)

يتبع أكمل الرؤى الليلية تويج يهوشع الكاهن الأعلى، الأمر الذي يشكل خاتمة مناسبة للرؤى الليلية الثماني. وهذا عمل رمزي يجد تفسيره في النص (6: 12-13). ارتبط كثير من هذه الرؤى الليلية بالمستقبل البعيد لشعب الله، وكان يفترض أن يكون في هذا تشجيع لمعاصري زكريا (حيث إن لدى الله خططا لرد الأمة في نهاية الأمر وتطهيرهم من الخطية). لكن المستقبل المشرق سيكون مرتبطاً بمجيء المسيحاً. ومن هنا يؤكد هذا القسم على المسيحاً، ذلك الذي سيعلمن مجيء البركات على شعب الله.

يوعز الله إلى زكريا بأن يطلب من جماعة من الراجعين من السبي أن يعدوا تاجاً ثميناً، وأن يقيم احتفالاً يوضع فيه التاج على رأس يهوشع، الكاهن الأعلى.⁶ وبعد هذا العمل الرمزي يكشف لنا الوحي دلالاته. يتنبأ الله هنا بشخص يدعى "الغصن" (وهو تعبير مسياني؛ انظر إشعيا 11: 1؛ إرميا 33: 15) سيقوم بإنجاز مهمتين: (1) سيعمل كاهناً وملكاً في نفس الوقت، و(2) سيبني هيكل الرب. وبما أن الهيكل الراهن كان ما يزال في المرحلة الأولى من إنشائه بفضل جهود زربابل (4: 9)، فإنه يعطى وعداً بهيكل أعظم على يد المسيحاً. وفي العصر الحالي فإن المسيحاً يبني كنيسته من حجارة حية (أفسس 2: 19-22؛ قارن مع 1 كورنثوس 3: 16 و 1 بطرس 2: 4-5)؛ وسيقوم في حكمه الألفي ببناء الهيكل الألفي (انظر إشعيا 2: 2-4؛ حزقيال 40-43؛ حجّي 2: 6-9). كما وُضع أيضاً أمام الشعب رجاء مجيد في المسيحاً الذي سيوحد الملكية (2 صموئيل 7: 16؛ إشعيا 9: 7؛ لوقا 1: 32) والكهنوت في نفسه. كانت هاتان الوظيفتان منفصلتين دائماً في العهد القديم، لكنهما ستوحدان بشكل كامل في شخص المسيحاً (انظر مزمو 4-110 وعبرانيين 7: 1-3 حيث يتم تناول الكهنوت الذي يمثله المسيحاً). وهكذا رسم لنا زكريا رسماً مجملاً شاملاً من زمن الرد بقيادة يهوشع وزربابل إلى يوم الرد في البلاد في العهد الألفي.

⁶ يقول باركر (693)، "إن الكلمة العبرية المستخدمة للتاج ليست نزر *nēzer* (التي تستخدم للدلالة على تاج الكاهن الأعلى أو عمامته) بل هي "طاروت *tārôt*" التي تشير إلى تاج قماشى مزين بالجواهر - وهو لهذا يدل على الجمع (انظر رؤيا 19: 12). " انظر إرميا 13: 18 حيث يستخدم هذا التعبير للدلالة على تاج يلبسه ملك (ترجم الترجمة السبعينية هذا التعبير في إرميا 13: 18 إلى στέφανος).

غير أنه يتوجب علينا أن نلاحظ الإنذار في الآية 15: "ويكون (وسيحده هذا) إن سمعتم سمعاً صوت الرب إلهكم." تحقيق برنامج الله يتطلب طاعة الشعب لهذا البرنامج. فمجد إسرائيل المستقبلي يتطلب تجاوباً إيجابياً من الشعب من أجل تسريع ذلك اليوم. فكان على معاصري زكريا أن يتحركوا إلى الأمام في إيمان في ضوء نوايا الله أو مقاصده.

3. مسألة الصوم والحداد (7: 1-8: 23)

قدم النبي زكريا لليهود في سلسلة الرؤى الليلية صورة مسبقاً رائعة لمستقبل الأمة المزدهر حين يصل ذروته في المسيا. وقد مرت إلى الآن حوالي سنتين منذ النبوءة الأولى (انظر 1: 7 و 7: 1). فماذا حدث؟ لقد تجاوب الشعب تجاوباً إيجابياً إلى حد ما، وانتبهوا للتحذيرات والتشجيعات باستئناف العمل في الهيكل الذي أكمل أكثر من نصفه. وبدأت المدينة مزدهرة مرة أخرى، فبرز السؤال حول ضرورة استمرار فترات الحزن والحداد إحياءاً لذكرى الأحداث المأساوية الماضية (أي حرق المدينة والهيكل على يد البابليين).⁷ ومن هنا استفسر الشعب من زكريا. وجاء الجواب بشكل عام على شكل توبيخ على عبادتهم الطقسية الفارغة. وقد أدت أحوالهم إلى ظهور إدراك أن إسرائيل ما زالت غير مؤهلة لبركتها كما هو معن في الأصحاحات 1-6 (التي يصور فيها الله بركة إسرائيل وفرح المستقبل الذي سيحل محل حدادهم أو حزنهم الحالي). "وإن الهدف من الأصحاحين 7 و 8 هو أن يفهما الشعب حاجتهم إلى الحياة المستقيمة البارة استجابة لدينوتهم السابقة ومجدهم المستقبلي."⁸

أ. مسألة الأصوام (7: 1-3)

ندرك من هذه الآيات الثلاث أن سكان بلدة بيت إيل بادروا إلى السؤال إن كان ما يزال ضرورياً لهم أن يكفوا وأن يمتنعوا عن الطعام (انظر النقاش السابق). فأعطوا جواباً رباعياً (لاحظ 7: 4، 8: 1، 18).

⁷ يبدو أن اليهود عتبنوا يوماً أو أياماً للحداد وهم في السبي إحياءاً لذكرى دمار أورشليم. ومع تقدم العمل في بناء الهيكل، بدا لهم أنه لم تعد هناك حاجة لمثل هذا الصوم.

⁸ Barker, 643.

ب. جواب الله الرباعي (7: 4-8: 23)

1. كشف أنايتهم (7: 4-7)

رداً على سؤالهم، أجاب الله عن طريق زكريا مستخدماً سؤالاً استنكارياً بلاغياً. نعم، لقد كان الشعب "متدينين" وأظهروا دلائل على التقوى. غير أن الله سألمهم: "هل كان هذا من أجلي أنا؟" إن الفكرة هنا هي أن الدوافع وراء تصرفاتهم كانت دوافع أنانية، وأنهم لم يكونوا يتصرفون بدافع من توبة حقيقية من القلب. وكانت الشفقة على الذات، وليست التوبة الحقيقية، هي التي تهيمن على تفكيرهم.

2. الدعوة إلى التوبة (7: 8-14)

يذكر الله الشعب أن بني إسرائيل في ما مضى قد نُبِّهوا إلى التعبير عن توبتهم الحقيقية على صورة تصرفات تقيّة بدلاً من العبادة الطقسية وحدها. يقول الله: "فأبوا أن يصغوا" (7: 11). وكان أن رأوا غضب الله نتيجة لذلك. فبإلهام من درس للذين عاصروا زكريا! قُدِّمت الدعوة إلى التوبة في 1: 3، لكن الممارسة الفارغة للطقوس لم تكن الأدلة التي يمكن أن يقبلها الله. فلا بدّ أن يتعمق شعب إسرائيل حتى يجد التوبة التي يعتبرها الله مشروعة، وأن يحاولوا الرجوع إلى الطريق الصحيح. أما النظرة الحالية التي يدونها فخطرة، لأنها تنم عن نفس الخواء الذي أدى إلى سقوط الأجيال السابقة. قدّم الرب في هذه الآيات أربعة امتحانات لما يمكن أن تنتجه التوبة الحقيقية:

(أ) "اقضوا قضاء الحق" - ويعني هذا أن تجرى المعاملات بالإنصاف مع الجميع على كل مستوى من مستويات المجتمع. يجب

أن يكون المرء نزيهاً وصادقاً في كل ما يفعله ومع كل من يتصل به.

(ب) "اعملوا إحساناً ورحمة" مع الآخرين - والكلمة المترجمة إلى إحسان تعني في واقع الأمر تقديم المحبة الوفيّة . . . والتعامل

بإخلاص وأمانة مع كل من ترتبط بهم بعلاقة. وكلمة "الرحمة" في العبرية، كما في العربية، مأخوذة من الرحم، رحم الأم،

وهذا يعني أن الرحمة هي أن يكون لدينا مشاعر أمومية تجاه الآخرين، وأن نحس بمحاجاتهم بعمق. يريدنا الله أن نحب

الآخرين ونهتم بهم ونكرس نفوسنا لحيرهم، لأن نحصر تفكيرنا في حاجتنا ومصالحنا.

- (ج) "لا تظلموا" - يجب عدم استغلال أضعف أفراد المجتمع وأكثرهم إعوازاً .
 (د) "لا يفكر أحد منكم شراً على أخيه في قلبكم" - ويشمل هذا الانتقام من الآخرين والرغبة في إيذائهم . وعليهم بدلاً من ذلك أن يغفروا للآخرين وباركوهم .

3. ردّ إسرائيل إلى رضى الله (8: 1-17)

قدم الله جواباً سلبياً لسؤال إسرائيل في الأصحاح السابع . أما هذا الأصحاح فيتناول ردّ الله الإيجابي . ويشير زكريا الآن إلى المستقبل المجيد الذي يذخره الله لشعبه، وإلى الكيفية الدقيقة التي سيزيل بها في نهاية الأمر كل أصوامهم . إن كل الجوانب المشجعة للرؤى الليلية المذكورة بشكل وجيز في نعمة فرح توقّعاً لذلك الوقت الذي سيعود فيه يهوه إلى صهيون ويسكن في وسط أورشليم . يقول باركر: "إن هدف القسمين واحد: ففي القسم السابق كان على إسرائيل أن تتوب وأن تحيا حياة بارّة بعد عقاب السي؛ أما هنا فإن عليها أن تتوب وأن تحيا حياة بارّة بسبب وعد الردّ المستقبلي."⁹

توضح الآية 11 أن لدى الله يوم بركة لبقية معينة . وينبع هدف البركة من العهد الإبراهيمي، وهو معبر عنه في 8: 13: "كذلك أخلصكم فتكونون بركة ."

بعد الإعلان عن بركة الله لشعبه في نهاية المطاف، يتحدث عن "الخير" لجمهور القراء المعاصرين له، ثم يذكر ثمار التوبة (الآيات 16-17) . وهذا هو ما توقّعه الله من الشعب كاستجابة دالة على الامتنان لله لإعلانه البركات المستقبلية النهائية وبركاته الحاضرة . ونجد مثالين إيجابيين في الآية 16 يتبعهما مثالان سلبيان (الآية 17) .

4. فرح الملكوت ورضى الله عن اليهود (8: 18-23)

يحتتم القسم الأول بنعمة انتصار . "إذ سيتحول حداد الشعب (المعبر عنه في الصوم) إلى فرح، حيث سيتغير مركزهم الوضع بين الأمم . وسيكونون مصدر بركة للأمم، لأن كل شعوب الأرض ستضم إليهم في الحجج إلى أورشليم لعبادة الرب."¹⁰ غير أن زمن الصوم والبكاء سينتهي، لكن زمن الفرح الحقيقي سيكون في زمن المسيا (انظر إرميا 31: 12-14) .
 وإن للجميع، يهوداً وأميين، مستقبلاً رائعاً يمكن أن يتطلعوا إليه في الملكوت المسياني، "فتأتي شعوب كثيرة وأمم قوية ليطلبوا رب الجنود في أورشليم، وليترضوا وجه الرب" (الآية 22) .

⁹ المرجع السابق، 649-50 .

¹⁰ المرجع السابق 654 .

درس لحياتنا

يمكن أن يكون الصوم ممارسة روحية هامة تنسم بضبط النفس في حياة المؤمن بالمسيح. غير أن هذه الممارسة، على الرغم من قيمتها، يمكن أن تتم دون أن يكون قلب الصائم متوافقاً حقاً مع الله. ويمكن أن ننخدع بالاعتقاد أن أموراً كالصوم يمكن أن تجعل الله يرضى عنا، بينما يكون في واقع الأمر حزيناً على الخطية الموجودة في حياتنا، أو على عدم تصرفنا كشعب الله. وهذا أمر ينطبق علينا اليوم كما كان ينطبق على معاصري زكريا. وهذا هو ما جعل الله يستخدم النبي لإخبار الشعب عما هو هام حقاً في عينيه (زكريا 7: 9-10). وإن إحدى القضايا التي لفت الله انتباههم إليها هي مسألة القضاء بالعدل، "افضوا قضاء الحق."

إن من السهل علينا أن نبدأ التفكير بأننا نرغب في أن يعاملنا الآخرون بإنصاف، وننسى أن لدينا نحن مسؤولية الإنصاف وعدم التحيز في كل معاملتنا مع الآخرين. وإن العالم لفي حاجة ماسة إلى أشخاص يتصرفون بنزاهة وصدق كامل في كل ما يفعلونه. وقد نجرب أحياناً بأن نلجأ إلى "طرق مختصرة" أو القيام بما نعتقد أنها أشياء صغيرة نعرف في قرار أنفسنا أنها ليست شريفة، لكننا نعتقد أن الآخرين لن يلاحظوها. هل يعتقد الناس أنك صادق وأمين ومنصف في تعاملك مع الجميع؟ هل قمت بعمل يتصف بعدم الإنصاف في حق الآخرين؟ هل يتوجب عليك تصويب الأمر؟ إذاً لا تصم حتى تصوب الأمر!